الحمد لله رب العالمين نحمده تعالى حمدا لا ينبغي إلا له ونشكره جل وعلا شكرا لا يليق إلا به ونشهد أنه اللّه لا إله إلا هو أمر رسوله ﷺ بإظهار منزلته عنده، فقال له:

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ

ونشهد أن سيدنا محمدا رسولُ اللّهِ بيَّن طبيعة العلاقة التي ينبغي أن تجمع بيننا وبين أهل الكتاب فقال في ما يرويه الإمام أحمد في مسنده:

لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَهْدُوكُمْ وَقَدْ ضَلُّوا.. فَإِنَّكُمْ إِمَّا أَنْ تُصَدِّقُوا بِبَاطِلٍ أَوْ تُكَذِّبُوا بِحَقٍّ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مَا حَلَّ لَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي

أما بعدُ فلا زلنا أحبابَ اللّه نعيش مع رسولِ اللّه مبتغين بذلك محبته. وإذا كنا في المرة السابقة قد ذكرنا أسلوبه الراقي في معاملة المرأة فإننا اليوم نختار لفتَ الأنظار إلى تعامله مع غير المسلمين حين حل بالمدينة حيث كان عندئذ في موقع قوة غير محتاج مبدئيا لأن يكون رؤوفا بهم حليما معهم غير فظ ولا غليظ إلا أنها الرحمة التي من أجلِها أرسل للعالمين. ومما يجدر ذكرُه في هذا المقام تعريفا به ﷺ أنه رغم صلابةِ موقفه التي لمسنا جليا في الحديث الذي صدَّرنا به هذه الخُطبة ورغم ما أُمِرَ به من غلظة نحوهم حيث

قيل له في موضعين متباعدين من كتاب الله تبارك وتعالى:

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ

.. رغم كل هذا كان يأمر بمعاملتهم معاملة حسنة ويعطي لذلك المثال بنفسه، خصوصا وربه ﷻ يقول:

وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ

ومن تطبيقه لهذا المنطق العظيم أن غريما له تقاضاه يوما ديناً فأغلظ عليه فهمَّ به عمرُ رضي الله عنه فقال ﷺ:

مَهْ يَا عُمَرُ كُنْتُ أَحْوَجَ إِلَى أَنْ تَأْمرني بِالْوَفَاءِ وَكَانَ أَحْوَجَ إِلَى أَنْ تَأْمُرَهُ بِالصَّبْرِ

وفي نفس السياق باعه يهودي بيعاً إلى أجل فجاءه قبل الأجل يتقاضاه ثمنَه فقال له لم يَحِلَّ الأجلُ، فقال اليهوديُّ إنكم لَمطْل يَا بنَي عبدِ المطلب، فهمَّ به أصحابُه فنهاهم ولم يَزِدْه ذلك إلا حِلماً، فقال اليهودي: كُلُّ شيء منه قد عرفتُه من علامات النبوة، وبَقِيَتْ واحدةٌ وهي أنه لا تزيدُه شدةُ الجهل عليه إلا حلماً فأردتُ أن أعْرِفَها، فأسلم اليهودي وشهد شهادة الحق. هذا هو هديه ﷺ في معاملته مع الكفار ومع الجاهلين، إذ كان عليه السلام خيرَ مطبق لقوله تعالى في الأعراف:

خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ

وإنما هو غيض من فيض وإلا فحلمه مضرب للمثل ولا يسعنا إلا أن نحبه ونحمد الله، فالحمد لله.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. هذه أيها الأحبة الكرام صور من معاملته للكفار الذين كانوا يكيدون له ويتمنون له كل سوء. لم يكن همه إلا في فوز أعدائه بالرجوع إلى الله ولو كان ذلك على حساب كرامته إذ لم يكن يغضب لشخصه. فكيف كانت معاملته للمنافقين يا ترى وهل فازوا هم أيضا بفيض حلمه ورأفته؟ روى البخاري قال:

حدّثنا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللّهِ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ جَاءَ ابْنُهُ إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ قَمِيصَهُ أَنْ يُكَفِّنَ فِيهِ أَبَاهُ فَأَعْطَاهُ ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ فَقَامَ رَسُولُ اللّهِ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ فَقَامَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِثَوْبِ رَسُولِ اللّهِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللّهِ أَتُصَلِّي عَلَيْهِ وَقَدْ نَهَاكَ اللّهُ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ: إِنَّمَا خَيَّرَنِي اللّهُ فَقَالَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً وَسَأَزِيدُ عَلَى سَبْعِينَ، قَالَ إِنَّهُ مُنَافِقٌ فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ وَأَنْزَلَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ

فاللهم لك الحمد حتى ترضى أنت قيوم السماوات والأرض رضيت لنا الإسلام ومحمدا نبيا ورسولا فاللهم أحينا على سنته وتوفنا على ملته واحشرنا في زمرته ولا تخالف بنا عن سيرته واجمع بيننا وبينه حتى

تدخلنا مدخله فنرد حوضه ونشرب بيده ماءه كما آمنا به ولم نره.

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تمنع به عنا معـصيتك ومن طاعتك ما تبلّغُنا به جنتَك ومن اليقين ما تُهّون به علينا مصيبات الدنيا ومتّـعـنا اللهم بأسماعِـنا وأبصارِنا وقواتِنا ما أبقيتنا واجعلهُ الوارثَ منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصُرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتَنا في ديننا ولا الدنيا أكبرَ همِّنا ولا مبلغَ علمِنا ولا إلى النار مصيرنا واجعل الجنة هي دارنا.

اللهم إنا نسألُك فعلَ الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وإذا أردت بقومٍ فتنةً فاقبضنا إليك غيرَ فاتنين ولا مفتونين. اللهم اغفر لنا ولكل الذين شهِدوا لك بالوحدانية ولنبيك بالرسالة وماتوا على ذلك اللهم اغفر لهُم وارحمهُم وعافهم واعف عنهم وأكرِم نُزُلَهم ووسِّع مُدخلهم واغسلهم ربنا بالماء والثلج والبَرَد. اللهم إنا نسألك أن تحفظ أمير المؤمنين بالسبع المثاني والقرآن العظيم. اللهم كن له سندا وعونا في مهمته وأبعد عنه كل بطانة سوء حتى يقضي بحكمك فينجز لنا وعدك. ربنا اغفر لنا وارحمنا وأن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين آمين، آمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.